

تتمة واستدراك على مصادر دراسة خطط بغداد في العصور العباسية
الدكتور مصطفى جواد

مجلة المجمع العلمي العراقي
المجلد الثامن عشر
1389هـ - 1969م

تمتلك سر ذلك عن مصور ولا تخطئه بغداد في العصور العباسية

الدكتور مصطفى جواد

وصل إليّ المجلد الرابع عشر من مجلة مجمعنا العلمي العراقي في الاسبوع الأول من آذار هذه السنة ، فطالعت على شدة مرضي للمعضل وسرني ما رأيت فيه من مقالات مفيدات ولا سيما المقالة البارعة « مصادر دراسة خطاط بغداد في العصور العباسية » من «باحث الرميل الدكتور الفاضل صالح أحمد آل علي، فأنرجمة الفوائد ، وقد حدثني على أن اسطر ما يكون تنمة لها واستندراكاً ، وأحسب الرميل الفاضل ينشره صدره وتزاح نفسه لكل فائدة جديدة ، كما هو عادة العلماء والفضلاء ، فأقول :

١ - نقل الدكتور الفاضل في الصفحة ١٥ من المجلد المذكور آنفاً أن أبا سعد السبعماني « ذيل على كتاب الخطيب البغدادي وإن العباد الاصفهاني ذيل على كتاب السمعاني ^(١) ، وأن محب الدين محمد ابن النجار البغدادي ذيل أيضاً على كتاب الخطيب ، وأن تقي الدين محمد بن رافع المتوفى بحسب نقله سنة ٦٧٤ هـ ذيل على تاريخ ابن النجار ، وذيل على كتاب ابن النجار ايضاً أبو بكر اللارسماني ، وأن ابن الساعي ذيل على تاريخ اللارسماني ، وأن ابن الديبشي ذيل على تاريخ السمعاني ، وأن ابن القطيعي ذيل على كتاب ابن الديبشي » .

استخلص الرميل ذلك مما ذكره حاجي خليفة في مادة « تاريخ بغداد » في كتابه كشف

(١) ذكر حاجي خليفة في مادة « تاريخ بغداد » انه سماه « السيل على القليل » وأنه في ثلاث مجلدات .

الفنون ، وفي كلام مؤلف الكشف خطأ ظاهر ينبغي تبيانه لثلا يبقى منزلة للباحثين في تواريخ بغداد ، وهو أن أبا بكر للمارستاني ويسمى أيضاً ابن المارستانية ألف تاريخه قبل تأليف ابن الديلمي لتاريخه ، وقبل تاريخ ابن النجار فلا يصح كونه ألف ذيلاً على تاريخ ابن النجار ، قال ابن الساعي في وفيات سنة ٥٩٩ : « أبو بكر عبيد الله بن علي بن نصر بن حمزة المعروف بابن المارستانية ، شيخ طلب علم الحديث واشتغل به وجد فيه وأسم به وجمع وصنف ورسوم كتاباً سماه (ديوان الاسلام) » ذكر في خطبته انه قسمه ثلاثمائة وستين كتاباً ، ففول في ذلك تطويلاً يضيق العمر عنه ، لاجرم لم يتم ^(١) ... » . وذكر ابن أبي أصيبعة انه « عمل تاريخاً لمدينة السلام سماه (ديوان الاسلام الاعظم) وكتب منه كثيراً ولم يشه ^(٢) » . وقال أبو شامة في ترجمته : « وصنف كتاباً سماه ديوان الاسلام في تاريخ دار السلام ، قسمه ثلاثمائة وستين كتاباً إلا انه لم يشتهر ^(٣) » ودافع عنه .

وقال ابن الديلمي : « عبيد الله بن علي بن نصر بن حمزة (بالهاء للهمزة والراء غير المعجمة) أبو بكر بن أبي الفرج المعروف بابن المارستاني ، أحد من طلب الحديث وسماه وجمع الكتب للمصنفات فيه واتسم بمعرفته ، وادعى الحفظ له وسعة الرواية (والنقل ممن لم يدركه) ولا يسمع منه ، فأطلق ألسن الناس في جرحه وتكذيبه وإساءة القول في حقه ، من أهل هذه الصناعة والعلماء بها وانسب الى أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - مع معرفة الناس به وبأبيه وبعدهما عن نسب مشهور ، غير خدمة المارستان ، فكان أبواه يخدمان بالمارستان ، وتعرف أمه بالمارستانية والها نسب ، وأما أبوه فكان يعرف بفرج أحد حواشي المارستان والقوام به . لا يعرف بكنيته ولا يعرف بغير ذلك ، فغير ابنه هذا اسمه وكناه بأبي الفرج وسماه علياً ، ولعل قائل لو قال لأبيه : أتعرف أبا الفرج علي ^(١) الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السرد ج ٩ ص ١١٢ طبعة كاتب هذه السطور ونحوه » .

(٢) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ١ : ٣٠٣ » .

(٣) ذيل كتاب الروضتين ص ٣٤ طبعة اليدرة المطابع .

ابن نصر التيمي؟ كما كان ابنه عبيد الله هذا يدعي^(١) لما عرف ذلك الشخص وهو نفسه .
ومن المعجائب أن عبيد الله هذا روى في شيء من تأليفاته في عدة مواضع عن أبيه هذا
ويقول : أخبرني والذي أبو العرج علي بن نصر ... ويذكر حديثاً وأبوه معروف ، كان
عامياً غير معروف بطلب الحديث ولا بسامعه ولا يفهم الرواية ولا كان من أهلها ... وجمع
مسودة كتاب مصناه (ديوان الاسلام الأعظم) في تاريخ بغداد فكتب منه كثيراً ولم يتمه
ولا يبضه ، ووقفت منه على شيء وقد ضمنه من غرائب الشيوخ له والروايات غير قليل ولو
ظهر هذا الكتاب وتم لكان من أكبر الشواهد على تخريصه^(٢) ... » .

وقال الصلاح الصفدي : « عبيد الله بن علي بن نصر بن حمزة بن علي بن عبيد الله
أبو بكر بن أبي الفرج التيمي المعروف بابن للارستانية ، هكذا كان يذكر نسبه ويوصله
الى أبي بكر الصديق . قال محب الدين ابن النجار : ورأيت للشايخ الثقات من أصحاب
الحديث وغيرهم ينكرون نسبه هذا ويقولون إن أباه وامه كالا يخدمان للرعي بالمارستان ...
وادعى لأبيه مصاعاً من أبي بكر محمد بن عبد الباقي وصحبه منه ، وذلك باطل .. وجمع
بمجموعات من التواريخ وأخبار الناس من غير طرقها من نظريتها ظهر له من كذبه ولحظه
وتهوره ما كان مخفياً عنه ... قال ياقوت : ومعه يجمع تاريخ بغداد ، أزرى فيه على الخطيب
ومصناه (كتاب ديوان الاسلام الأعظم) قسمه ثلاثمائة وستين كتاباً في كل كتاب اسماء
توافق أنسابها وطول في ذلك ، وله كتاب الحوادث ولم يتم وكتاب في الصفات ... وقد
بالغ ابن الديلمي في الطعن عليه وزاد في غلوه فيه والله أعلم بحقيقة الحال^(٣) . » وقال ابن
النجار : « وقرأ كثيراً على المتأخرين وعلى مشايخنا وكتب بخطه وحصل الأصول ولم يقنع
بذلك حتى ادعى السماع ممن لم يدرکه وألحق طباقاً على الكتب بخطوط مجهولة تشهد بكذبه

(١) سقطت هذه الكلمة من في النقل وقد وضعتها استرجاعاً ولعل الأصل « كما كان يسببه »
ما أدري .

(٢) ذيل تاريخ بغداد لابن الديلمي « جزء خزانة كسبرج للصور في المجمع العلمي العراقي ، ٢٦٦ و ٢٦٧ .

(٣) الرافعي بالوفيات « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦٦ و ٢٠٧٠ .

وتزويره ... سمعت ابا الحسن بن القطيعي يقول : سمعت ابا الفرج بن الجوزي يقول : قال لي ابو بكر ابن المارستانية مولدي في سنة إحدى وأربعين وخمسة . بلغنا انه توفي في موضع يعرف بمجرخ بند وكان راجعاً من تقيس قاصداً للامير ابي بكر في ليلة الأحد غرة ذي الحجة سنة تسع وتسعين وخمسة ودفن في ذلك الموضع ^(١) .

وذكره ابن القوطي في الملقبين بفخر الدين إلا ان اسمه ولقبه سقطا من الجزء المخزون في المكتبة الظاهرية بدمشق ، فمرقتها من سيرته الباقية في كتاب ابن القوطي ، قال : « ذكره شيخنا تاج الدين علي بن أنجب في تاريخه وقال : كان فقيهاً محدثاً مؤرخاً مفسراً وجمع وصنف ورسم كتاباً سماه (ديوان الاسلام) ذكر في خطبته انه قسمه ثلاثمائة وستين كتاباً وطول تطويلاً يضيق العمر عنه ، لاجرم لم يتم ^(٢) ... » . وقال زكي الدين المنذري المصري : « وذكر أنه سمع من أقوام لم يدركهم ^(٣) » .

وذكره الذهبي في تاريخه الكبير ونقل من كتب عدة عن شيوخ ثقات أخبار تزويره وتدليسهم ونههم عن الرواية عنه ، منها « قال ابن نقطة : حدثني علي بن احمد الريدي أن ابن المارستانية استعار منه (مغازي الأموي) فردّها وقد طبق عليها السماع على كل جزء ، ولم يسمها ^(٤) » ، يعني انه كتب اسمه بين السامعين لها على أحد رواياتها الاثبات مع أنه لم يسمها .

وذكر ابن رجب نقلاً من امرأة الزمان لسبط ابن الجوزي أنه « صنف كتاباً سماه ديوان الاسلام في تاريخ دار السلام ، قسمه ثلاثمائة وستين كتاباً إلا انه لم يشتمه » . ونقل من تاريخ ابن القادسي أن له تاريخ مدينة السلام على وضع كتاب الخطيب وهو

(١) التاريخ الجديد لمدينة السلام « جزء المجمع العلمي للصور ، ١٠٠ » .

(٢) تلخيص مجمع الآداب « ج ٤ القسم ٢ ص ٢٢٦ » .

(٣) النكتة لوفيات النقلة « الجزء للصور في المجمع العلمي و ٤٦ » .

(٤) تاريخ الاسلام « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٨٧ و ١١٨ و ١١٩ » .

كتاب نفيس، وقد ذكر فيه اقواماً، ذكر أنهم لا يعرفون وقد عظمهم هو ووصفهم^(١) .
وقد انتصر له ابن رجب بسبب المذهب . واختصر اقواله ابن المهاد في شذرات الذهب
« ٤٤٠ : ٣٤٥ » .

وفذلك القول ان ابن المارستانية لم يؤلف ذيلاً على تاريخ ابن النجار وان تاريخه لم
يتم ولم يخرج ، الا قسم منه ، وهو عرصة الطعن والشك . وقد مضى لإزراء ابن
النجار عليه .

وأما تاريخ ابن القطيعي فلم يكن ذيلاً على تاريخ ابن الديلمي ، لأنها كانا متعاصرين
وانما كان ذيلاً على تاريخ السمعاني الذي هو ذيل على تاريخ الخطيب ، قال ابن رجب « بعد
ابن احمد بن عمر بن الحسين بن خلف البغدادي القطيعي الأزجي المؤرخ أبو الحسن بن
أبي العباس ، وقد سبق ذكر أبيه^(٢) . ولد في رجب سنة ست واربعين وخمسمائة ،
وبكر به والده واسمعه ... ثم طلب هو بنفسه وممع من جماعة بعد هؤلاء وقرأ على الشيوخ
وكتب بخطه ورحل ... وجمع تاريخاً في نحو خمسة أسفار ذيل به على تاريخ أبي سعد بن
السمعاني ، سماه (درة الاكليل في تنمة التذييل) رأيت أكثره بخطه وقد نقلت منه في
هذا الكتاب كثيراً وفيه فوائد جمعة مع أوهام واغلاط ، وقد بالغ ابن النجار في الخط على
تاريخه هذا مع انه اخذ عنه واستفاد منه ونقل منه في تاريخه اشياء كثيرة ، بل نقله كله ،
وقال : لم يكن محققاً فيما ينقله ويقولوه ، وكان كحسنة ، قليل المعرفة بأسماء الرجال ... ولما
عمر المستنصر مدرسته المعروفة به جعل القطيعي شيخ دار الحديث بها وكان ابن النجار
بها مفيداً للطلبة وهذا من جملة الأسباب التي أوجبت تحامله عليه ... قال ابن النجار : توفي
ليلة السبت لأربع خلون من ربيع الآخر سنة أربع وثلاثين وستمائة وصلي عليه من الغد

(١) ذيل طبقات الحنابلة « ١ : ٤٤٣ ، ٤٤٦ طبعه مطبعة السنة » .

(٢) ذيل طبقات الحنابلة « ١ : ٣٠١ » .

بعده مواضع ودفن بباب حرب - رح - (١) ... » . وقال زكي الدين المنذري في وفيات سنة ٦٣٤ : « وجمع تاريخاً للبغداديين وحديث وهو آخر من حدث ببغداد بصحيح البخاري كاملاً عن أبي الوقت سماعاً وتترد بالرواية عن غير واحد وهو منسوب الى قطعة باب الأزج (٢) المعروفة بقطيعة المعجم (٣) ... » .

وقال الصفدي : « وكان قد ذيل على كتاب التاريخ الذي عمله أبو سعد ابن السمعاني وأذهب حمزه فيه ، قال ابن النجار : وطالعت فيه فرأيت فيه من الغلط والوم والتصحيح والتحريف كثيراً أوقفته على وجه الصواب فيه فلم يفهمه وقد نقلت عنه أشياء ونسبتها اليه ، ولا يعلمني فلي اليها والمعدة عليه فيما قاله ، فانه لم يكن محققاً فيما ينقله ويقول به - عفا الله عنا وعنهما (٤) - » . ونقل هذا الكلام شمس الدين الذهبي ثم نقله من كتابه ابن حجر العسقلاني ، ثم قال نقلاً من تاريخ ابن النجار : « سمعت عبد العزيز بن دلف (٥) يقول غير مرة : سمعت الوزير أبا المظفر [عبيد الله] بن يونس يقول لأبي الحسن القطيعي : ويحك حمرك تقرأ الحديث ولا تحسن أن تقرأ حديثاً واحداً صحيحاً » .

وترجم له ابن العماد في الشذرات مرتين الأولى باسم « أبي الحسن احمد بن محمد » وهو خطأ واختصر كلام ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة على عادته في تراجم الحنابلة ، قال : « وجمع تاريخاً في نحو خمسة أسفار ذيل به على تاريخ ابن السمعاني سماه (درة الاكلیل في تسعة التذييل) وفيه فوائد جمعة مع اوهام (٦) » . ثم ترجم له في الصفحة ١٦٨ بإيجاز بالاضافة (٧) الى الترجمة الاولى وقال : « ضمه ابن النجار لعدم إتقانه وكثرة اوهامه (٨) » .

(١) ذيل طبقات الحنابلة « ٢ : ٢١٢ - ٢١٣ » .

(٢) هي أرض مقبرة الفزالي الحالية بفريق بغداد وما حولها .

(٣) النسخة لوفيات الثقة « نسخة مكتبة البلدية بالاسكندرية ١٩٨٢ د ج ٢ ص ١٩٤ » .

(٤) الوافي بالوفيات « ٢ : ١٣٠ » .

(٥) في لسان اللبان « ٥ : ٤٧ » دلفي وهو تصحيف .

(٦) الشذرات « ٥ : ١٦٢ » .

(٧) أي بالنسبة لا بمعنى « زيادة على » .

(٨) الشذرات « ٥ : ١٦٨ » .

وقال أبو زكريا يحيى بن أبي بكر العامري الحرشي في حوادث سنة ٦٣٤ : « وفيها توفي أبو الحسن المؤرخ وهو محمد بن أحمد البغدادي المحدث ، أخذ الوعظ عن ابن الجوزي وهو آخر من حدث بالبخاري سمعاً عن أبي الوقت السجزي وضعه ابن النجار ^(١) . وترجم له ابن الديني وإن لم يذكر وفاته لأن تاريخه في نشرته الثانية انتهى بسنة ٦٢١ قال : « محمد بن أحمد بن عمر بن الحسين بن خلف القطيعي أبو الحسن منسوب إلى قطيعة باب الأزج وتعرف بقطيعة العجم ، بكثرة والده وأسمعه في صغره ... وجمع تاريخاً لبغداد لم أقف عليه . سمعت منه أكثر صحيح البخاري وشيئاً عن أبي بكر الراغبني ^(٢) » ، وأما كون تقي الدين بن رافع قد توفي سنة ٦٧٤ هـ فليس بدواب لأن وفاته كانت في سنة ٧٧٤ هـ ^(٣) وهذا من السهو في النقل أو السرعة في الكتابة .

٢ - وجاء في الصفحة « ٢٠ » من المجلة في المقالة المذكورة ذكر الحسن بن محمد السكوبي ومراجع ترجمته وقد فات الدكتور انماضل ذكر لسان الميزان « ٢ : ٢٥١ » ففيه ترجمة له على وجه الجرح بالبداهة ، فالرجل قد تناوله لسان الميزان .

٣ - وجاء في الصفحة ٢٣ « أما إسماعيل بن علي الخطيبي (٢٦٩ - ٣٥٠) فقد ترجم له [الخطيب] في الجزء السادس ^(٤) (ص ٢ - ٥) وذكر أنه « صنف تاريخاً كبيراً على السنين ، وقد ذكر ابن النديم هذا الكتاب (ص ٢٤٣) ويبدو أن النقل جاء من هذا الكتاب » . قلت : وترجم له ياقوت الحموي في معجم الادباء ووقع في تاريخ وفاته فيه تصحيف فصار سنة ٢٦٩ . وذكره أبو سعد السمعاني في « الخطيب » من الأنساب ^(٥) وأبو الترج بن الجوزي في المنتظم « ٧ : ٥ » وكلا الأخيرين اختصر كلام الخطيب ،

(١) غريال الزمان في وفيات الأعيان « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٩٣ و ١٨١٠ .

(٢) ذيل تاريخ بغداد « نسخة دار الكتب للذكورة ٥٩٢١ و ٢٠ » .

(٣) الدرر الكامنة « ٣ : ٤٤٠ » .

(٤) الدواب « ج ٦ ص ٣٠٦ ، ٣٠٥ » .

(٥) الأنساب في مادة « الخطيب » .

والحق يقال ، ومن المهم في هذا الأمر أن جزءاً من كتاب « مختصر تاريخ الخلفاء »
للخطي المذكور محفوظ في دار كتب كوبنهاغن بالدانمارك وترقيمه بين الكتب العربية
« ٨٥ » وأخرى في إيطالية . وقد جاء في الفهرست التي بكونها كن ما هذا به :

الجزء الأول من كتاب مختصر تاريخ الخلفاء ، تأليف أبي محمد اسماعيل بن علي بن
اسماعيل الخطي ، رواية أبي القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى ابن جنيقا عنه ، رواية أبي
الحسين محمد بن أحمد بن محمد بن علي الآبوسمي عنه ، رواية أبي غالب أحمد بن الحسن بن
أحمد بن عبد الله بن البناء عنه ، رواية أبي العز عبد المغيث ^(١) بن زهير بن زهير الحربي
عنه ، قرأه علي بن يحيى سماعي على الشيخ أبي غالب أحمد بن الحسن بن البناء : الشيخ الجليل
العالم أبو محمد إبراهيم ابن الشيخ الجليل الفقيه أبي الحسن علي بن محمد بن المبارك ابن بكروس
- بئذ الله محامداً - وكتب عبد المغيث بن زهير بن زهير - عفا الله عنه - قرأ الكتاب
وأجزت له أن يروي عني جميع ما تجاوز روايته من سائر العلوم وما أجاز لي أشياخي على
الشرط المعروف بين أهل العلم في ذلك . الحمد لله وصالواته على سيدنا محمد وآله أبدأ ،
والكتاب من نسخته : أربعة أجزاء وهي في الأصل جزءان ... قال المؤلف : هذا كتاب
مختصر من كتاب تاريخ الخلفاء وتاريخ أوقاتهم ومقدم وأعمارهم وأسابيهم وصفاتهم ،
مجرداً دون سيرهم وأخبارهم وأعوانهم فإن ذلك في الكتاب الكبير مرسوم ، وأسقطته
ها هنا ليقرب تناوله ، ويسهل حفظه ، وقد ذكرت في آخره ولادة العهد الذين لم يلوا
الأمر ومن يجري مجرى مجرىهم ممن رشح للأمر ولم يبلغه . باب من طهر من الطالبين وبويع
له بالخلافة في دولة العباسيين .

ومن الأمور المستغربة أن هذا الجزء الذي هو من أقدم ما ألّف في التاريخ لم يصور

(١) من الرواة المشهورين المذكورين في أعيان الحنابلة ، توفي سنة ٨٣٥ هـ كما جاء في حوادث هذه
السنة من كامل ابن الأثير قال مؤلفه : وصف كتاباً في فضائل يزيد بن معاوية أتى فيه بالمعاني وقد
رد عليه أبو الفرج بن الجوزي وكان بينهما عداوة . قلت : والرّد موجود محفوظ في عدد من خزائن
الكتب وعثرناه « الرّد على فلتعصب المنيد لما تلع من ذم يزيد » .

العرب إلى الآن ، وقد وقعت على وصفه بالاتفاق - أعني بالصدفة - فأرجو من 'وكت
اليهم أمور الثقافة العربية والتراث الاسلامي أن يسعوا تصويره وطبعه وإن كان مختصراً
من تاريخه الكبير .

٤ - وأما ما يستدرك على الدكتور الفاضل من الكتب التي تناولت خفايا بغداد
في « خلاصة الذهب المسبوك » المختصر من سير الملوك ، تأليف عبد الرحمن الاربلي
المعروف ببسط فنيته المتوفى سنة ٧١٧ فقد ذكر أولاً صلاح موضع بغداد لاجتماع
والسكنى ، واستطرد الى ذكر الأقاليم وأن إقليم بغداد وهو الرابع صفوة الارض ووسطها
وأن العراق مركز العلم ثم ذكر ارتياد المنصور موضعاً لمدينة جديدة ، وأسطورة مقلص
للشهوة ، وموضع بغداد الاقتصادي وموضعها الحربي وحشره الصناع والفعلة وأهل
الهندسة وأمره باختطاط المدينة وحفر الأساس بحسب الطالع وضرب الابن وطبع الأجر
ومحاولته نقض القصر الأبيض الكسروي بالمداخن وإعراضه عن ذلك وذكر سور المدينة
وخندقها ومساحتها ومقدار النفقة عليها وما في أسواقها من الابن ، وذكر أبوابها الأربعة
وما بينهن من المسافات وما على كل منها من مجلس ودرج وقبة وقواد الأبواب وحراسها
وأبراج السور والقبة الخضراء التي في قصره : قصر الذهب ، ثم تطرق الى ذكر حمامات
بغداد ومساجدها ، ومدح بغداد بالشمر ^(١) . وأكثر ما ينقل هذا المؤلف إنما هو
من تاريخ ابن الساعي .

ومنها كتاب « النجوم الزاهرة في ملوك مصر وقاهرة » فقد ذكر ابن تغري بردي
ارتياح المنصور موضعاً لمدينته الجديدة واسطورة مقلص وجمع الصناع والفعلة وللمهندسين
والصالحين والعلماء ورسم للمدينة وما كانت عليه قبل البناء ومساحة للمدينة وللمادة التي بنيت
بها وأبوابها وبروجها وسورها والجامع والقصر وقبته الخضراء ، وذكر بغداد عن
الصولي عن أحمد بن أبي طاهر طيفور وعن غيره ، وعن ابن أبي طاهر حماماتها ومساجدها

(١) خلاصة الذهب المسبوك « ص ٧٢ - ٧٣ طبعة مكتبة لثني » .

وحماماتها أيضاً عن هلال ابن الصابي ، وبغداد الجديدة ، نقل ذلك كله عن الذهبي ^(١) .
ولا أجد بأساً في ذكر مسالك الاصطخري فقد ذكر إنشاء المنصور لبغداد بالجانب الغربي
 وإقطاعه القطائع ومسكن المهدي بالرافقة وزيادة عمران بغداد وانتقال الخلافة - يعني
دارها - الى الجانب الشرقي ونشوء حريم دار الخلافة وقصورها وبساتينها وامتداد ذلك
الى نهر بين من الشرق الى الشمالية من الشمال ، وما يحاذيها من الجانب الغربي كالحربية
الى الجنوب حتى الكرخ ، وذكر جانب الطاق والرافقة وموضع السوق الأعظم وقصر
الرشيد بقرب جامع الرافقة ، وجوامع بغداد الثلاثة جامع المنصور وجامع المهدي وجامع
دار الخلافة ، واتصال عمارة بغداد بكلوذا ، وذكر جسر بغداد ، وعمارة الكرخ
وكونها مركز التجارة والأنهار والبساتين بالجانب الشرقي وسقي النهر و تماراً بفروعه
ذلك الجانب ، وعدم ارتفاع ماء دجلة إليه إلا بالدواب وذكر الجانب الغربي والأنهار
التي تتخلله من فروع الفرات الرواضع كنهري عيسى والعمرة ^(٢) . وهذا من المباحث
الضرورية لمعرفة تطور الخطط البغدادية الذي أراده الدكتور الفاضل ، واعتدله لازماً
لمعرفة أدوار الخطط وأطوارها .

هذا ما أردت تبينه وأختم كلامي بتكرار شكري للدكتور الزميل المحقق صالح علي
تمريضه بالكتابات غير العلمية في الخطط والحضارة ، وسجدي له لنتائج المسيرة الى
التاريخ العلمي الحديث ، كأن يتحدث الكاتب على لسان رحالة في القرن الثاني للهجرة
فيصف البصرة سنة ١٥٦ ويسقشد بشر ابن أبي عيينة من أهل القرن الثالث للهجرة ^(٣)
ويصف قصر الأخنف بن قيس من أهل القرن الأول للهجرة وهو في القرن الثاني منها ،
أو البيضاء دار عبيد الله بن زياد وهو في القرن الثاني أيضاً ^(٤) ، ويجمل كلوذا قبل المدائن

(١) التاجم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة « ١ : ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ » .

(٢) مسالك الممالك ، الاصطخري « ص ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ » .

(٣) حضارة الاسلام في دار السلام « ص ٧ » .

(٤) المرجع المذكور « ص ٧ أيضاً » .

المصعد من البصرة إلى بغداد ويسمي « المأصر » أي سلسلة الكرك « الماطر »^(١) ،
 و« بلس » أبا جعفر المنصور من أهل القرن الثاني لمبى الخليفة الناصر لدين الله في القرن
 السادس^(٢) ، ويصف خطيب القرن الثاني بوصف خطيب القرن السادس^(٣) ، وينسب
 إلى السيدة زبيدة زوج الرشيد أنها أمرت بصنع بساط من الديباج جمع صورة كل
 حيوان من جميع الأجناس وصورة كل طائر من الذهب وأعينها من يواقيت وجواهر ،
 يقال إنها أنفقت عليه نحواً من ألف ألف دينار (كذا) « ويقول في العاشية محبلاً على
 المستطرف مرجعه ١ : ٩٨ إن أم المستعين هي التي صنعتها »^(٤) ، فيقال له إن كانت تلك
 صوراً فكيف تكون الأطنار من ذهب والعيون من يواقيت وجواهر ؟ ولنحسب أن
 صور الأطنار لمسيجت من خيوط ذهب فا بال العيون اليواقيت والجواهر ؟

والصحيح أن أم المستعين حملت « قلاية »^(٥) ، ذكر أبو هلال العسكري في كتاب
 الأوائل عن أحمد بن حمدون أن أم الخليفة المستعين أحمد بن محمد بن المعتصم حملت قلاية
 لم يبق شيء حسن إلا جعلته فيها وأنفقت عليها مائة ألف دينار وثلاثين ألف دينار ،
 وسألته أن يقف عليها ، قال أحمد بن حمدون فقال لي المستعين ولأترجة الهاشمي : اذهبا
 فانظرا إليها وصفها . فضينا فرأيناها ، فإرأينا في الدنيا شيئاً حسناً إلا وقد عمل فيها ،
 ومددت أنا يدي إلى غزال من ذهب ملى عنبراً وعيناه جتا جوهر وعليه سرج ولجام
 وركاب من ذهب فاخذته ووضعته في كمي^(٦) ... إلى آخر الخبر الطريف ، فصارت القلاية
 عند مؤلف المستطرف « بساطا » . وجاء مؤرخ الحضارة فنقل الخبر على علته وخروجه
 عن حدود الامكان والواقع . ووصف هذا المؤرخ أهل بغداد في القرن الثاني بأوصاف

(١) المذكور « ص ١٩ » .

(٢) المذكور « ص ٢٣ » .

(٣) « ص ٢٤ » .

(٤) « ص ٩٥ » .

(٥) القلاية كالطية وهي الصومعة ،

(٦) أوائل أبي هلال العسكري « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٩٨٦ هـ و ١٠٠ » وانما

وضه في كته لأن الجيب الذي نمره لم يكن مرفوقاً بالمشد .

أهلها في القرن السادس أيام الفتوة والفخر والعدل والاستعداد^(١)، وما أحسن قول الدكتور الفاضل: «ثم إن التكوين الاجتماعي والاقتصادي لأية مدينة يتبدل بمرور الزمن ويرافقه تبدل الخطط^(٢)» ثم قوله: «فاذا كانت لدراسة خطط بغداد أهمية كبيرة فإن على الباحث الاهتمام بالتطور التاريخي لهذه الخطط وتحديد أماكنها وخططها في زمن معين لأن الخطط تتطور فتتسع أو تضيق أو تتبدل فيها مواضع الأسواق ومراكز اللهو أو السكن، فلا بد لهذه الدراسة من تحديد زمن المصدر أو الكتاب الذي يصف خطط المدينة وبيان أن وصف الخطط في ذلك المصدر ينطبق على زمان المؤلف وتميز ذلك عما نقله من سبقه^(٣)».

فكثير من الباحثين يجهلون هذه الحقائق ويعدون الخطط ثابتة لا تتغير ويعتدون الزمان واحداً لا يتبدل، مثال ذلك أن كثيراً من الناس ما يزالون يعدون شرقي بغداد «الرصافة» وكانت من محال الحنابلة، وغربي بغداد «الكرخ» وكان من محال الشيعة، مع أنها كانتا محلتين مسورتين محدودتين بعيدتين عن الموضعين اللذين يذكر منهما أهلها.

مصطفى موار

(١) حضارة الاسلام ص ٩٧.

(٢) مجلة الجمع العلمي العراقي ص ٤.

(٣) المرجع المذكور ص ٦.